مقدمة

كثير من البحوث الواردة فى هذا الكتاب تم نشرها فى كتاب صدر لنا منذ عشر سنوات بعنوان (قضايا فكرية واجتماعية فى ضوء الإسلام) ، وقد أضفنا هنا إلى ما سبق نشره حينذاك عددًا من البحوث التى تتناول موضوعات تُعد بالغة الأهمية بالنسبة للأمة الإسلامية وبخاصة ما ورد فى الباب الأول كله .

وتشكل بحوث الكتاب فى مجموعها موضوعات تدخل فى إطار هموم الأمة الإسلامية . ولسنا نعنى هنا بكلمة هموم مجرد أحزان أو أشجان ، وإنما نستخدم هذه الكلمة بمعنى يشمل الأحزان والأشجان ويتجاوزها إلى محاولة التغلب عليها . وهذا يُخرج الكلمة من معناها السلبى إلى معنى إيجابى محرك للهمم[1] ، وهذا التوسع فى المعنى يعنى أننا نقصد قضايا تهم الأمة الإسلامية ، وتقلقها ، وتجعلها معنية بها ومهتمة بأمرها لما لها من أثر بالغ فى مستقبلها ومصيرها ومكانتها ومكانها على خريطة العالم ؛ الأمر الذى يدفعها إلى العمل الفعال من أجل التغلب على كل العقبات ومواجهة كل التحديات .

وباستعراض سريع لفصول الكتاب يتضح لنا تبرير تسمية الكتاب بـ « **هموم الأمة الإسلامية** » ، **فالباب الأول** الذى جاء بعنوان « **مفاتيح الحضارة وتحديات العصر** » قد اشتمل على ثلاثة فصول تتناول مفاتيح الحضارة فى ضوء الأمر الإلهى « **اقرأ** » ، والإسلام وتحديات القرن الحادى والعشرين ، والدين فى مواجهة الإرهاب .

أما **الباب الثانى** الذى هو « **دراسات فى ضوء القرآن والسنة** » فقد اشتمل على ثلاثة فصول أيضاً تتناول مقومات وحدة الأمة الإسلامية، وخصائص المجتمع الإسلامى، والمسئولية العالمية فى نظر الإسلام .

---

(١) ولعل شيخنا الغزالى كان يقصد هذا المعنى الإيجابى عندما أطلق على أحد كتبه اسم « هموم داعية ».

أما **الباب الثالث والأخير** فقد جاء بعنوان « **الإسلام وتيارات الفكر الغربى** » ، وقد اشتمل على ثلاثة فصول تناولنا فيها قضايا الاستشراق ، ودور مؤسسات الدعوة حيال الغزو الفكرى ، ومستقبل الإسلام فى الغرب ، وهذه كلها موضوعات تندرج بشكل أو بآخر تحت مفهوم « **هموم الأمة الإسلامية** » الذى نقصده .

وإن إلقاء نظرة سريعة على أحوال الأمة الإسلامية فى عالم اليوم تكشف لنا عن مفارقة غريبة ؛ فمن ناحية تمتلك الأمة الإسلامية ـ التى تمثل أكثر من خمس سكان العالم ـ كل المقومات التى تهيئ لها فرصة الانطلاق إلى آفاق التقدم والازدهار بلا حدود، ولا تقتصر هذه المقومات على الجوانب الروحية فحسب ، بل لدى الأمة الإسلامية كل المقومات البشرية والمادية أيضًا ؛ فبلاد المسلمين تشتمل على كل خيرات الدنيا من معادن وكنوز مختلفة ، كما أن لديها رصيدًا حضاريًا ضخماً يشكل قاعدة راسخة للثقة والاعتزاز والفخار ، وفى الوقت نفسه للانطلاق والنهوض ؛ وهذا يعنى أن لدى الأمة الإسلامية ما يؤهلها للإسهام بدور مؤثر وفعال فى مسار التاريخ ، وتوجيه أحداثه ، وتقرير مصير عالمنا ، واحتلال مكان لائق فى خريطة العالم .

ولكن الواقع الذى عليه المسلمون ـ من ناحية أخرى ـ شىء مختلف تمامًا عن هذه الصورة المشرقة ، فالأمة الإسلامية أمة متقطعة الأوصال ، منهوكة القوى ، مستنزفة الموارد ، مسلوبة الإرادة ، وكما وصفها بعض المفكرين المسلمين المعاصرين[1] : « **أمة حائرة فى عالم محيِّر** » ، وهذه صورة تدمى قلب الصديق وتبهج قلب العدو .

وفى الوقت الذى يسرع فيه العالم من حولنا الخطى ، وينطلق فى كل الاتجاهات ، نشغل أنفسنا فى عالمنا الإسلامى بقضايا هامشية تجاوزها الزمن ، ويعد الصراع حولها فى عصر السباقات العالمية من قبيل الهزل فى وقت الجد ، وهكذا فإنه بدلاً من توحيد جهود المسلمين وتعاونهم فيما بينهم لإثبات وجودهم نرى صورة أخرى مختلفة تعكس الواقع المتناقض ؛ وركب الحياة يسير بخطى متسارعة ، ومتغيرات العصر وتطورات العلم ومكتشفاته يكاد المرء يعجز عن متابعتها لكثرتها وتسارعها ، والتاريخ يسجل ولا يترك مكانًا للضعفاء أو الكسالى .

---

(١) هو الأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد .

وهكذا تجد الأمة الإسلامية نفسها فى مفترق الطرق ، وعليها أن تقرر لنفسها أى طريق تسلك ؛ فإما أن تسلك الطريق الذى يؤدى بها إلى التقدم والازدهار ، وإما أن تظل مكانها متخلفة عن الركب الحضارى فيتجاوزها الزمن ، وليس هناك خيار آخر .

إن هموم الأمة الإسلامية كثيرة ، وعليها أن تواجه هذه الهموم والتحديات بإرادة قوية وعزيمة لا تلين وتصميم لا يعرف الضعف أو الاستسلام حتى تعبر هذا النفق المظلم الذى زج بها إليه ، وهذا يحتاج إلى تضافر كل الجهود وتعاون كل الطاقات وتوظيف كل الإمكانات ، وعندئذ فقط يمكن للأمة الإسلامية أن تلتجئ إلى الله طالبة العون والتوفيق ؛ فالله لا يعين الكسالى ولا ينصر المتبطلين ، ولكنه فى عون العبد ما دام العبد فى عون نفسه ، وفى عون أخيه ، وفى عون المجتمع الذى يعيش فيه ، انسجامًا مع القانون القرآنى الثابت : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ .

(سورة الرعد : الآية ١١)

إن الكتاب الذى نقدمه اليوم إلى القارئ الكريم ما هو إلا تعبير عن بعض ما يجول فى النفس ويتردد فى الخاطر حول بعض قضايا الأمة الإسلامية وما يواجهها فى حياتنا المعاصرة ، وما يمكن أن تفعله للخروج من أزمتها الخانقة .

وعلى الرغم من أن هذه الفصول ـ التى يتضمنها هذا الكتاب ـ قد كتبت فى مناسبات مختلفة وفى أوقات متباعدة ، فإن القارئ الكريم سيتبين أنها ترتبط ببعضها برباط وثيق يجمع بينها ويشكِّل منها فى النهاية وحدة واحدة .

ونأمل أن يكون فى نشر هذه الفصول فائدة تعود على القراء المهتمين بقضايا أمتهم ، وأن تشكِّل إسهامًا متواضعًا فى إيقاظ الهمم وعودة الوعى الحضارى ـ الذى نحن اليوم فى أشد الحاجة إليه ـ فى كل ركن من أركان عالمنا الإسلامى .

والله من وراء القصد ،،،

القاهرة فى : ٢٤ من ذى القعدة ١٤١٨ هـ

٢٣ من مارس ١٩٩٨م

أ . د . محمود حمدى زقزوق